

دلائل الامامة

[380] وأشرفنا على الهلاك بالتنويه على ما أشرفنا ، فليس يجوز التهاون في أمره ، ولكننا نحتاج إلى أن نضع منه قليلا قليلا حتى نصوره عند الرعايا بصورة من لا يستحق هذا الامر ، ثم ندبر فيه بما يحسم عنا مواد بلائه . قال الرجل : يا أمير المؤمنين ، فولني مجادلته ، فإني افحمه وأضع من قدره ، فلولا هيبتك في صدري لانزلته منزلته ، وبينت للناس قصوره عما رسخ له في قلوبهم . قال المأمون : ما (1) شيء أحب إلي من ذلك . قال : فاجمع وجوه أهل مملكتك من القواد ، والخاصة ، والقضاة ، والفقهاء لابين نقصه بحضرتهم ، فيكون تأخيرهم عن محله الذي أحلته فيه ، على علم منهم بصواب فعلك . قال : فجمع الخلق الفاضلين من رعيته في مجلس له واسع ، وقعد فيه لهم ، واقعد الرضا بين يديه في مرتبته التي جعلها له ، فابتدأ هذا الحاجب المتضمن للوضع من الرضا ، وقال له : إن الناس قد أكثروا الحكايات وأسرفوا في وصفك ، فما أرى أنك إن وقفت عليه إلا وبرئت منه إليهم ، وأول ذلك أنك قد دعوتني في المطر المعتاد مجيئه ، فجاء ، فجعلوه آية معجزة لك ، أوجبوا لك بها أن لا نظير لك في الدنيا ، وهذا أمير المؤمنين - أدام الله ملكه وبقائه - لا يوازن بأحد إلا رجح ، وقد أحلك المحل الذي قد عرفت ، فليس من حقه عليك أن تسوغ للكذابين لك فيما يدعونه . قال الرضا (عليه السلام) : ما أدفع عباد الله أن يتحدثوا بنعم الله (عزوجل) ، وإن كنت لا أبغي بذلك بطرا ولا أشرا ، وأما ذكرك أن صاحبك أحلني هذا المحل ، فما أحلني إلا المحل الذي أحله ملك مصر يوسف الصديق (عليه السلام) ، وكانت حالهما ما قد عرفت . فغضب الحاجب عند ذلك فقال : يا بن موسى ، لقد عدوت طورك ، وتجاوزت قدرك أن بعث الله مطرا مقدرًا وقته ، لا يتقدم الساعة ولا يتأخر ، جعلته آية تستطيل بها ، وصوله تصول بها ، كأنك جئت بمثل آية الخليل إبراهيم (عليه السلام) لما أخذ رؤوس الطير بيده ودعا أعضاءها التي فرقها على الجبال فأتينه سعيًا ، وتركبن على الرؤوس ، _____ (1) في " م ، ط " زيادة : من .